من أجل البقاء » . وكم كنا نتمنى تخصيص بحث خاص بهذه المقولة المهمة والتي تأخذ مكانتها في النقاش السياسي وفي عمل المقاومة . اي حزب؟ حزب فلسطيني أم حزب عربي ؟ وعمليا اية علاقة ستكون لهذا الحزب (المشروع ، او القائم ؟) مع الاحزاب الاخرى ؟ وهل هذا الحزب يقدم نفسه بديلا صراعيا للاحزاب الاخرى ، في الواقع والاهداف ؟

ويعالج ابو همام موضوعة مهمة جدا في علم الثورة والتغيير العنفي ، هي موضوعة « تفتيت جيش القمع واجب ثوري » . ويسأل : « لماذا لم يتفتت الجيش خلال الصراع رغم وجود عدد كبير من الوطنيين الاردنيين والفلسطينيين داخل صفوفه ... » . « ويبقى السؤال بلا جواب مقنع ... حتى .. وحتى ... » . كنا نتمنى على الكاتب الاسهام بأجابة ميدانية بدلا من الاكتفاء بشروط الاجابة . ولكنه ينتقل الى استعراض عام لجيش القمع واراء الكتاب العسكريين والثوريين في كيفيات تفتيته . غيفارا ، دوغلاس برادو ، لينين ، ماوتسي تونغ ، نيوبيرغ ، جياب ، ريجيس دوبريه ، غابرييل بونيه . ومع ذلك ، فأبو همام يلتفت الى بعض المشكلة ، فيصيب ويخطىء : يصيب عندما يصنف زمرة الجيوش الاولى (الامبريالية والرجعية المرتبطة بها في المستعمرات وشبه المستعمرات) بأنها واحدة، ويخطيء عندما يصنف « جيوش التحرير الوطني المناضلة ضد الامبريالية فيسبيل الاستقلال الوطني والثورة الديموقراطية » بأنها « غير ثورية » . ونسأله كيف يمكن لجيش تحرير وطني مقاتل فعلا ان يكون جيشا « غير ثوري » ؟ وما هي الشروط لثوريته ؟ الايديولوجيا ام الممارسة الثورية ؟ وهل ينفصلان عمليا ؟ ام ماذا ؟

وينتقل الى موضوع « المناطق المحررة في حرب العصابات » ، ويبدأ بالقول : « يكشف لنا تحليل احداث سبتمبر (ايلول) كثيرا من الدروس السياسية والعسكرية » . ولكنه لا يذكرها . فما هي هذه الدروس؟ اننا بأشد الحاجة الى معرفتها، أليس كذلك ؟ يقول ايضا : « لسنا هنا بصدد تقييم هذه التجربة ، وتحديد ايجابياتها وسلبياتها، والوصول الى استنتاجات عملية حولها » . اذن نحن بصدد ماذا ؟ ان الكاتب بصدد العرض النظري ... وهذا ضروري ولكنه لا يكفي . وفي خلاصة هذا الفصل يختمه بقوله : « ان على العصابات ان .. وان ... وان .. وان .. وان ... وأن ... » . وهذا من شأن التعليمية الثورية وليس من شأن التحليل الميداني الذي لا تعفينا « أن » من الانتقال اليه .

اما موضوعة « في سبيل فهم الديموقراطية العسكرية بشكل افضل » فتدور حول التجربتين الصينية والفيتنامية ، استنادا الى قرارات ومراجع ، ويرتكب خطأ بسيطا — هو من نوع سوء التعبير او المعنى المعاكس — حين يقول : « وينعكس الدور الذي تلعبه القوات المسلحة انعكاسا على العلاقات القائمة في داخلها ... » والسؤال يطرح نفسه : أية طبقة اجتماعية بنت هذا الجيش ، على اية علاقات ، واي دور معطى لها ؟ الدور نتيجة للطبقة الذي بنته ، وهو نتيجة للعلاقات ، وليس العكس اجمالا .

واما فصل « قتال العصابات ضد الدبابات في المدن » فهو لا يشير الى أية تجربة يستند الكاتب اليها ، وكان يجدر به كما في النص ان يضيف صفة « المحررة » للمدن . ولكننا نحن بحاجة الى معرفة قتال العصابات ضد الدبابات في المدن المحتلة . وهناك فرق كبير بين الوضعين .

ويأتي فصل ممتاز واصيل عنوانه « ارفعوا ايديكم عن الميليشيا » يعرض فيه عملية بناء القواعد في الاردن ومصاعبها ، ويكشف الحيلة التي انخدعت بها بعض فصائل المقاومة : « الجيش الاردني درع المقاومة » ، « واستراح اصحاب العقلية البورجوازية التوفيقية على هدهدة هذا الحلم » ، ويحلل التراجعات ورفض الجبهة الشعبية تسليم سلاح الميليشيا « لانها ترفض المشاركة في دفع المقاومة الى مقبرة الثورات » . ويعدد المبررات التي لجأ اليها البعض ضد الميليشيا ووجودها في المدن . ويختم كتابه بعرض نظري تعليمي لـ « مفهوم القتال التراجعي في حرب العصابات » وهذا الفصل فيه مفاهيم ميدانية مهمة . ونأسف لكون الكاتب لم يختم كتابه ولو بخاتمة استنتاجية تعين القارىء على الخطوط التي تشد او لا تشد فصول كتابه .